

سُورَةُ الْكَهْفِ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

ومن أول سورة (١) الكهف ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار المدينة فقالوا : سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته فإنهم أهل الكتاب الأول، ففعلوا فقالوا : سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما أمرهم فإن لهم حديثاً عجيباً ، وسلوه عن طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح ، فأقبلا فقالا جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد فسألوه عن الثلاث فقال : أخبركم ولم يستثن ،

(١) قوله تعالى : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قِيماً لينذرَ بأساً شديداً من لدنهُ وَيبشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجراً حسناً . ما كُنْ فِيهِ أبدأ . وينذر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً . ما لهم به من علمٍ ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديثِ أسفاً . إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبَلُوهُمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . وإنا لجاعلون ما عالجها صعيداً جُرُزاً . أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) الآيات : ١ - ٩ .

فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبرائيل فشق ذلك عليه، حتى جاءه بالسورة
فيها المعاتبه على حزنه عليهم وخبرُ مسائلهم (١) .

ففي الآية الأولى مسائل :

الأولى : حمده نفسه على إنزال الكتاب الذي هو أكره شيء أتاهاهم في
أنفسهم ؛ مع كونه أجل ما أعطاهم من النعم .

الثانية : أن الإنزال على عبده ؛ ففيه بطلان مذهب النصارى والمشركين ،
وفيه نعمته عليهم حيث أنزل على رجل منهم .

الثالثة : أنه أنزله معتدلاً لا عوج فيه ، ففيه معنى قوله : (ولو اتبع الحق
أهواءهم لفسدت السموات والأرض) (٢) .

الرابعة : أن الأعداء والمشبتهين لا يجدون فيه مغمراً بل ليس فيه
إلا ما يكسرهم .

وقوله : (لينذر بأساً شديداً من لدنه) ذكر الفائدة في إنزاله فذكر
ثلاثاً :

الأولى : لينذر عذاب الله فيصير سبباً للسلامة منه .

الثانية : بشارة من انقاده بالحظ المذكور .

الثالثة : الإنذار على الكلمة (٣) العظمى التي تفوه بها من تفوه تقرباً إلى
الله بتعظيم الصالحين .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠-٣٢٢ وتفسير القرطبي وغيره في
أول سورة الكهف .

(٢) سورة المؤمنون : الآية : ٧١ .

(٣) في س « العظيمة » .

الرابعة : الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم لا منهم ولا ممن قبلهم .

الخامسة : تعظيم الكلمة كما قال تعالى : (تكاد السموات يتظفرن(١) منه) .

السادسة : أن الكذب يسمى كذباً ، ويسمى صاحبه كاذباً ولو ظن أنه صادق ، وبصير من أكبر الكذابين المفترين .

وقوله : (فلعلك باعع نفسك على آثارهم) أي قاتلها أسفاً على هلكتهم ، ففيه ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفقة عليهم ، وتسليته الله سبحانه له .

وقوله : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) فيه مسائل :

الأولى : التسليته للمؤمن عن أدبر .

الثانية : أن حكمة التزيين ليبين الأحسن عملاً من غيره .

الثالثة : أن جميعها بصير (صعيداً جرزاً) أي لا نبت فيه .

وقوله : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجباً) يعني أن قصتهم مع كونها عجيبة فيها مسائل جليلة أعظمها الدلالة على التوحيد وبطلان الشرك ، والدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومن قبله ، والدلالة على اليوم الآخر ، ففي الآيات المشاهدة من خلق السموات والأرض وغير ذلك مما هو أعجب وأدل على المراد من قصتهم مع إعراضهم عن ذلك ، فأما دلالتها على التوحيد وبطلان الشرك فظاهر ، وأما دلالتها على النبوات فكذلك كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته ، وأما دلالتها على اليوم

(١) سورة مريم : الآية ٩٠ .

الآخر فمن طول لبثهم لم يتغيروا كما قال تعالى : (وكذلك أعتونا عليهم
ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) .

وقوله : (إذا أوى الفتية إلى الكهف) (١) الآية فيه مسائل :

الأولى : كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة ، وهذا هو الصواب عند وقوع
الفتن الفرار منها .

الثانية : قولهم : (ربنا آتانا من لذك رحمة) لا نحصلها بأعمالنا
ولا بجيئتنا .

الثالثة : قولهم : (وهي لنا من أمرنا رشداً) طلبوا من الله أن يجعل
هم من ذلك العمل رشداً مع كونه عملاً صالحاً ، فما أكثر ما يقصر الإنسان
فيه أو يرجع على عقبيه ، أو يشمر له العجب والكبر ، وفي الحديث (وما
قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً) (٢) .

وقوله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم
وزدناهم هدى) إلى قوله : (من أمركم مرفقاً) (٣) فيه مسائل :

(١) قوله تعالى : (إذا أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتانا من
لذك رحمةً وهي لنا من أمرنا رشداً) سورة الكهف الآية : ١٠ .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها ج ٦ ص ١٤٦ .

(٣) قوله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا
بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا : ربنا رب
السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً . هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهةً لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى
على الله كذباً . وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأتوا إلى الكهف ينشروا
لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً) الآيات : ١٣ - ١٦ .

الأولى : من آيات النبوة وإليه الإشارة بقوله : (بالحق) .

الثانية : (أنهم فتية) وهم الشبان وهم أقبل للحق من الشيوخ عكس ما يظن الأكثر .

الثالثة : قوله : (آمنوا بربهم) فلم يسبقوا إلا بالإيمان بالله .

الرابعة : ما في الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد .

الخامسة : في قوله : (وزدناهم هدى) إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن عمل بما يعلم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم .

السادسة : أن المؤمن أحوج شيء إلى أن يربط الله على قلبه ، ولولا ذلك الربط افتتروا .

السابعة : قولهم : (ربنا رب السموات والأرض) هذه الربوبية هي الألوهية .

الثامنة : المسألة الكبرى أن من ذبح لغير الله أو دعا غيره فقد كذب بقول : لا إله إلا الله ، وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربين .

التاسعة : المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمناً حقاً كارهاً لموافقهم فقد كذب في قوله لا إله إلا الله ، واتخذ إلهين اثنين ، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها !

العاشرة : أن ذلك لو يصلر منهم أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراحتهم لذلك فهو قوله : (شططاً) والشطط الكفر .

الحادية عشرة : قوله : (لولا يأتون عليهم بسطان بين) فهذه المسألة مفتاح العلم وما أكبر فائدتها لمن فهمها .

الثانية عشرة قوله : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) ففيه أن مثل هذا من افتراء الكذب على الله ، وأنه أعظم أنواع الظلم ولو كان صاحبه لا يلوي بل قصد رضا الله .

الثالثة عشرة : قوله : (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوديهم ، وأن ذلك لا يحرك إلى ترك ما معهم من الحق كما قال تعالى : (ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمِ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا) (١) .

الرابعة عشرة : قوله : (فأووا إلى الكهف) فيه شدة صلابتهم في دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة ، والنعمة العظيمة ، واستبدلوا بها كهفاً في رأس جبل .

الخامسة عشرة : حسن ظنهم بالله ومعرفتهم ثمرة الطاعة ، ولو كان مبادئها ذهاب الدنيا حيث قالوا : (ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً) .

السادسة عشرة : الدليل على الكلام المشهور أن التعب يثمر الراحة ، والراحة تثمر التعب .

السابعة عشرة : عدم الاغترار بصورة العمل الصالح قرب عمل صالح في الظاهر لا يثمر خيراً ؛ أو عمل صالح يهيء لصاحبه منه مرفقاً .

(١) سورة المائدة : الآية : ٨ .

وقوله تعالى : (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) (١) فيه مسائل :

الأولى : كما أمانهم لحكمة بعثهم لحكمة .

الثانية : أن الصواب في المسائل المشككة عدم الجزم بشيء ، بل قول (الله

أعلم) فالجهل بها هو العلم .

الثالثة : التورع في المآكل .

الرابعة : كتمان السر .

الخامسة : المسألة العظيمة وهي قوله (٢) : (إنهم إن يظهروا عليكم

يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدأ) عرفوا أنه لا بد من

أحد الأمرين : إما الرجم ، وإما الإعادة في الملة ، فإن وافقوا على الثانية

لم يفلحوا أبدأ ؛ ولو كان في قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر .

وقوله تعالى : (وكذلك أعتزنا عليهم) (٣) فيه مسائل :

الأولى : أن الإعتار عليهم لحكمة .

(١) قوله تعالى : (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل

منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم

فابعثوا أحدكم بيورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم

برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً . إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم

أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدأ) الآيتان : ١٩ - ٢٠ .

(٢) في س « قولهم » .

(٣) قوله تعالى : (وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق

وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا : ابنوا عليهم بنياناً

ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لتتخذن عليهم مسجداً)

الآية : ٢١ .

الثانية : معرفة المؤمن إذا أعتز عليهم (أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) كما ردّ سبحانه موسى إلى أمه لتعلم أن وعد(١) الله حق ، فتأمل هذا العلم ما هو .

الثالثة : أن الساعة لا ريب فيها لما وقع بينهم النزاع ؛ وذلك أن بعض الناس زعم أن البعث للأرواح خاصة ، فأعتز عليهم ليكون دليلاً على بعث الأجساد .

الرابعة : أن الذين غلبوا على أمرهم قالوا لنتخذ عليهم مسجداً ، فإذا تأملت ما قالوا ، وأن الذي حملهم عليه محبة الصالحين ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » (٢) عرفت الأمر .

وقوله : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم » (٣) الآية فيه مسائل :

(١) كما ورد في قوله تعالى : (فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعملون) سورة القصص الآية : ١٣ .

(٢) رواه البخاري (كتاب الصلاة وكتاب مناقب الأنصار) ومسلم (كتاب المساجد) والنسائي (مساجد) ، كما رواه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٥١

(٣) قوله تعالى : (سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل : ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً) الآية : ٢٢ .

- الأولى : الإخبار بالغيب .
- الثانية : بيان الجهل والباطل بالتناقض .
- الثالثة : الإنكار على المتكلم بلا علم .
- الرابعة : إسناد الأمر في مثل هذه المسائل إلى علم الله سبحانه .
- الخامسة : الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه .
- السادسة : أن من العلماء من يعرف عِدَّتَهُم ، لكنهم قليل .
- السابعة : النهي عن المراء في شأنهم .
- الثامنة : الاستثناء .
- التاسعة : النهي عن استثناء أحد من هؤلاء فيهم .
- وقوله : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً . إلا أن يشاء الله) (١)
- فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن مثل هذا الكلام .
- الثانية : الرخصة مع الاستثناء .
- الثالثة : الأمر بذكر الله عند النسيان .
- الرابعة : أن الاستثناء ينفع في مثل هذا .
- الخامسة : هذا الدعاء عند النسيان إن صح التفسير بذلك .

(١) قوله تعالى : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً . إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل: عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشداً) الآياتان : ٢٣ - ٢٤ .

وقوله (وليثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) (١) إلى آخر الكلام فيه

مسائل :

الأولى : النص على مدة لبثهم .

الثانية : الرد على المخالف بقوله : (الله أعلم بما لبثوا) .

الثالثة : الرد عليه بقوله : (له غيب السموات والأرض) .

الرابعة : الرد عليه بقوله : (أبصر به وأسمع) .

الخامسة : قوله : (ما لهم من دونه من وليّ) .

السادسة : كونه : (لا يشرك في حكمه أحداً) .

السابعة : النهي عن إشراك مخلوق في حكم الله على قراءة الجزم .

الثامنة : الحث على تلاوة الوحي وإن عارضه شبهة أو شهوة .

التاسعة : تقريره ذلك بقوله : (لا مبدل لكلماته) .

العاشر : تقرير ذلك بقوله : (ولن نجد من دونه ملتحداً) .

(١) قوله تعالى : (وليثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً . قل : الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصِرْ به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً . واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً . واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً) الآيات : ٢٥ - ٢٩ .

الحادية عشرة : الكبيرة وهي أمره نبيه أن يتصبر نفسه مع من ذكر .
الثانية عشرة : أنه لا يضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها .
الثالثة عشرة : أن بلوغهم هذه المرتبة بسبب فعلهم ما ذكر .
الرابعة عشرة : أن صلاة البرّدين (١) بالإخلاص توصل إلى المراتب
العالية .

الخامسة عشرة : فيه قوله : « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه
له لو أقسم على الله لأبره » (٢) .

السادسة عشرة : النهي عن طلوع العين عنهم إرادة لمجالسة الأجلاء .
السابعة عشرة : المسألة الكبرى وهي اختلاف أمر الدنيا والآخرة
عند الله .

الثامنة عشرة : أنه لما ذكر المحثوث على مجالستهم ذكر ضدّهم .
التاسعة عشرة : نهي عن طاعة الضد .

(١) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم (من صلى البرّدين
دخل الجنة) رواه البخارى (مواقيت الصلاة) ومسلم (مساجد) والدرامى
(صلاة) وأحمد في مسنده ج ٤ ص ٨٠ ، والبردان والأبردان الغداة والعشى
(راجع لسان العرب) .

(٢) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ، وزواه الحاكم وأبو نعيم بلفظ
(رب أشعث أغبر تنبو عنه أعين الناس . .) ، وروى عن ابن مسعود
بالرواية التي وردت في التفسير ، وروى الشيخان وابن ماجه ما في
معناه راجع :

كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج ١ ص ٤٢٥ .

العشرون : سبب ذلك .

الحادية والعشرون : ذكر الخصال : الثلاث إغفال القلب عن ذكر الله ، واتباع الهوى ، وانفراط الأمر .

الثانية والعشرون : إثبات القدر وهو الإغفال .

الثالثة والعشرون : لا يخرج من النعم أن قلبه يفهم غير ذلك فهماً جيداً .

الرابعة والعشرون : قوله : (وقل الحق من ربكم) الآية .

وقال في قوله : (ولا يظلم ربك (١) أحداً) تنزيهه عن الفقر والحاجة والجهل والحساسة ، ولكونه (٢) الغني القوي .

الثانية : كونه سبحانه هو الحكيم لتزائه عن الجهل والنقص ولكونه (٣) القدوس السلام .

(١) قوله تعالى : (ووضع الكتابُ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون : يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلمُ ربك أحداً) الآية : ٤٩ .

(٢) في س « ولكنه » .

(٣) في س « ولكنه » .